

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }

## (سورة الأنعام)

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ }  
{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ  
ثُمَّ أَنْتُمْ مُّتَرُونَ }

{ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ  
وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ }

{ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ }  
{ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ }  
{ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ  
لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ  
فَآهَلَكْنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ }  
{ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ  
لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ }

{ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ }  
الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ { ظهور الكمالات، وصفات الجمال  
والجلال على مظاهر تفاصيل الموجودات بأسرها الذي هو كمال الكل. والحمد  
المطلق مخصوص بالذات الإلهية الجامعة لجميع صفاتها وأسمائها باعتبار البداية  
الذي أوجد سموات عالم الأرواح وأرض عالم الجسم وأنشأ في عالم الجسم ظلمات  
مراتبه التي هي حجب ظلمانية لذاته وفي عالم الأرواح نور العلم والإدراك { ثم }  
أي: بعد ظهور هذه الآيات { الذين كَفَرُوا } حجبوا مطلقاً { برَبِّهِمْ يعدلون } غيره

يثبتون موجوداً يساويه في الوجود { هو الذي خلقكم من طين { المادة الهيلوانية  
 { ثم قضى أجلاً { مطلقاً غير معين بوقت وهيئة، لأن أحكام القضاء الثابت  
 الذي هو أم الكتاب كلية منزّهة عن الزمان، متعالية عن المشخصات إذ محلها  
 الروح الأولى المقدّس عن التعلق بالمحل، فهو الأجل الذي يقتضيه الاستعداد طبعاً  
 بحسب هويته المسمّى أجلاً طبيعياً بالنظر إلى نفس ذلك المزاج الخاص والتركيب  
 المخصوص بلا اعتبار عارض من العوارض الزمانية { وأجل مسمّى { معين { عنده {  
 هو الأجل المقدّر الزماني الذي يجب وقوعه عند اجتماع الشرائط وارتفاع الموانع  
 المثبت في كتاب النفس الفلكية التي هي لوح القدر المقارن لوقت معين ملازماً  
 له، كما قال تعالى:

{ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }

{ الأعراف، الآية: ٣٤}. { ثم أنتم { بعدما علمتم قدرته على إبدانكم وإفنائكم وإحاطة  
 علمه بكم تشكون فيه وفي قدرته، فتنتبلون لغيره تأثيراً وقدرته.

{ وهو الله { في صورة الكل سواء ألوهيته بالنسبة إلى العالم العلويّ والسفليّ  
 { يعلم سرّكم { في عالم الأرواح الذي هو عالم الغيب { وجهركم { في عالم الأجسام  
 الذي هو عالم الشهادة { ويعلم ما تكسبون { فيهما من العلوم والعقائد والأحوال  
 والحركات والسكنات والأعمال صحيحها وفاسدها، صوابها وخطئها، خيرها وشرّها،  
 فيجازيكم بحسبها.

{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ }

{ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ }

{ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ }

{ قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ }

{ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ }

{ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيئَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ }

{ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }

{ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

{ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَنْخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ  
إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

{ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
{ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ }

{ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ  
وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ ولو جعلناه } الرسول { ملكاً لجعلناه رجلاً } أي: لجسدناه لأن الملك نور غير مرئي  
بالبصر وهم ظاهريون لا يدركون إلا ما كان محسوساً وكل محسوس فهو جسم أو  
جسماني ولا صورة تناسب الملك الذي ينطبق بالحق حتى يتجسد فيها إلا الصورة  
الإنسانية، إما لكونه نفساً ناطقة تقتضي هذه الصورة وإما لوجوب وجود الجنسية  
التي لو لم تكن لما أمكنهم السماع منه وأخذ القول  
{ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } أي: ألزم ذاته من حيث هي إفاضة الخير والكمال  
بحسب استعداد القوابل فما من مستحق لرحمة وجود أو كمال إلا أعطاه  
عند حصول استحقاقه لها.

{ ليجمعنكم إلى يوم القيامة } الصغرى والإعادة أو الكبرى في عين الجمع المطلق

{ لَا رَيْبَ فِيهِ } في كل واحد من الجمعين في نفس الأمر عند التحقيق،

وإن لم يشعر به المحجوبون وهم { الذين خسروا أنفسهم } بإهلاكها في الشهوات  
واللذات الفانية ومحبة ما يفنى سريعاً من حطام الدنيا، وكل محبٍ لشيء فهو  
محشور فيه. فهؤلاء لمحبتهم إياها واحتجابهم بها عموا عن الحقائق الباقية  
النورانية واستبدلوا بها المحسوسات الفانية الظلمانية { فهم لا يؤمنون }  
{ قل إني أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ } قال ذلك مع قوله:

{ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا }

[النحل، الآية: ١٢٣]، وكذلك قال موسى:

{ سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }

[الأعراف، الآية: ١٤٣]

لأن مراتب الأرواح مختلفة في القرب والبعد من الهوية الإلهية. وكل من كان أبعد  
 فيإمانه بواسطة من تقدمه في الرتبة، وأهل الوحدة كلهم في المرتبة الإلهية أهل  
 الصف الأول فكان إيمانهم بلا واسطة وإيمان غيرهم بواسطة الأقدم فالأقدم، وكل  
 من كان إيمانه بلا واسطة فهو أول من آمن وإن كان متأخر الوجود بحسب الزمان  
 كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: « نحن الآخرون السابقون » فلا يقدح  
 اتباعه لملة إبراهيم في سابقيته لأن معنى الاتباع هو السير في طريق التوحيد مثل  
 سيره في الزمان الأول. ومعنى أوليته كونه في الصف الأول مع السابقين.

{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }

{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا  
 الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتِكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا  
 أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ }  
 { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ  
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }  
 { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ  
 إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }

{ وهو القاهر فوق عباده } فإنناهم ذاتاً وصفة وفعلاً بذاته وصفاته وأفعاله،  
 فيكون قهره عين لطفه كما لطف بهم بإيجادهم وتمكينهم وإقذارهم على أنواع  
 التمتع وهياً لهم ما أرادوا من أنواع النعم والمشتبهات فحببوا بها عنه وذلك  
 عين قهره. فسبحان الذي اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نعمته واشتدت نعمته  
 على أعدائه في سعة رحمته { وهو الحكيم } يفعل ما يفعل من القهر الظاهر  
 المتضمن للطف الواسع أو اللطف الظاهر المتضمن للقهر الكامل بالحكمة  
 { الخبير } الذي يطلع على خفايا أحوالهم واستحقاقها للطف والقهر  
 { ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً } بإثبات وجود غيره { أو كذب } بصفاته  
 بإظهار صفات نفسه، فأشرك به، وغاية الظلم الشرك بالله  
 { إنه لا يفلح الظالمون } لاحتجابهم بما وضعوه في موضع ذات الله وصفاته.

{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا  
 { أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ }  
 { ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ }  
 { أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }  
 { وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ  
 وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا ءَايَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَوكَ  
 يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ }  
 { وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }  
 { وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ  
 آيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } { بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ  
 مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }  
 { وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ }

{ ويوم نحشرهم جميعاً } في عين جمع الذات { ثم نقول للذين أشركوا } بإثبات  
 الغير { أين شركائي الذين كنتم تزعمون } لفناء الكل في التجلي الذاتي { ثم لم تكن }  
 عند تجلية الحال وبرز الكل للملك القهار نهاية شركهم وعاقبته { إلا أن قالوا والله  
 ربنا ما كنا مشركين } لامتناع وجود شيء شرکه بالله.

{ انظر كيف كذبوا على أنفسهم } بافتراء الوجود والصفات لها وضاع  
 { عنهم ما كانوا يفترون } فلم يجدوه شيئاً بل وجدوه لا شيء سوى المفترى أو كذبوا  
 على أنفسهم بنفي الشرك عنها مع رسوخ ذلك الاعتقاد فيها.  
 { ولو ترى إذ وقفوا على } نار الحرمان والتعذب بهيات نفوسهم المظلمة واستيلاء  
 صور المفتريات عليهم في العذاب { فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب آيات ربنا } من  
 تجليات صفاته { ونكون من المؤمنين } الموحدين، لكان ما لا يدخل تحت الوصف  
 { بل بدأ } ظهر { لهم ما كانوا يخفون } من العقائد الفاسدة والصفات المهلكة  
 والهيآت المظلمة ببروزهم لله وانقلاب باطنهم ظاهراً، فتعذبوا به

{ ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه { لرسوخ تلك الاعتقادات والمملكات فيهم  
{ وإنهم لكاذبون { في الدنيا والآخرة لكون الكذب ملكة راسخة فيهم.

{ وَكَلِمَاتٍ يُكْتَبُ بِهَا عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَسِيحًا وَمَذْمُومًا مُبِينًا }  
{ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَٰرَ هَٰذَا بِالْحَقِّ }

{ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ }

{ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم { في القيامة الكبرى وهو تصوير لحالهم في الاحتجاب  
والبعد وإلا لم يكن ثم قول ولا جواب، لحرمانهم عن لحضور والشهود، وإن كانوا في  
عين الجمع المطلق. واعلم أن الوقف على الشيء غير الوقوف معه، فإن الوقوف مع  
الشيء يكون طوعاً وربة، والوقف على الشيء لا يكون إلا كرهاً ونفرة، فمن وقف  
مع الله بالتوحيد كمن قال:

وقف الهوى من حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

لا يوقف للحساب، بل هو من أهل الفوز الأكبر الذين قال فيهم:

{ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }

[الكهف، الآية: ٢٨].

{ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ }

[الأنعام، الآية: ٥٢] ويثاب بأنواع النعيم في الجنان كلها. ومن وقف مع الغير بالشرك  
وقف على الربّ وعذب بجميع أنواع العذاب في مراتب النيران كلها، لكون حجاب  
أغلظ وكفره أعظم. ومن وقف مع الناسوت بمحبة اللذات والشهوات، ولبث في  
حجاب الآثار وقف على الملكوت وعذب بنيران الحرمان عن المراد، وسلط عليه زبانية  
الهيئات المظلمة، وقرن بشياطين الأهواء المردية. ومن وقف مع الأفعال وخرج عن  
حجاب الآثار، وقف على الجبروت، وعذب بنار الطمع والرجاء، وردّ إلى مقام الملكوت.  
ومن وقف مع الصفات وخرج عن حجاب الأفعال، وقف على الذات، وعذب  
بنار الشوق في الهجران وإن كان من أهل الرضا وهذا الموقف ليس هو الموقف  
على الربّ، فإن الموقوف على الذات يعرف ربّه الموصوف بصفات اللطيف  
كالرحيم، والروؤف، والكريم، دون الموقوف على الربّ فهو حجاب الأنية كما أنّ  
الواقف مع الأفعال في حجاب أوصافه، والواقف مع الناسوت في حجاب أفعاله  
التي هي من جملة الآثار.

فالمشرك موقوف في المواقف الأربعة أولاً على الربّ فيحجب بالبعد والطرده،

كما قال: { أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ }

[المؤمنون: ١٠٨]، وقال: { فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }  
[آل عمران، الآية: ١٠٦]، ثم على الجبروت فيطرد بالسخط والقهر كما قال:

{ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ }

[آل عمران، الآية: ٧٧]، ثم على الملكوت فيزجر بالغضب واللعن كما قيل:

{ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ }

[الزمر، الآية: ٧٢] ثم على النار، فيعذب بأنواع النيران أبداً،

كما قال على لسان مالك: { إِنَّكُمْ مَا كُتِبْتُمْ }

[الزخرف، الآية: ٧٧]، فيكون وقفه على النار متأخراً عن وقفه على الربّ،  
معلولاً منه، كما قال:

{ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ }

[يونس، الآية: ٧٠]. وأما المواقف مع الناسوت فيقف للحساب على الملكوت ثم على النار، وقد ينحى لعدم السخط وقد لا ينحى لوجوده. والمواقف مع الأفعال لا يوقف على النار أصلاً، بل يحاسب ويدخل الجنة. وأما المواقف مع الصفات فهو من الذين: [المائدة، الآية: ١١٩] والله أعلم بحقائق الأمور.

{ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ }

{ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا

يُحَسِّرَتْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ

{ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ }

{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ

{ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }

{ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِّبُونَكَ

{ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }

{ قد خسر الذين { المحجوبون المكذبون بلقاء الحق { حتى إذا جاءتهم { القيامة الصغرى ندموا على تفریطهم فيها { وهم يحملون أوزارهم { من أعباء التعلقات، وأفعال محبة الجسمانيات، ووبال السيئات، وآثام هيئات الحسيّات { على ظهورهم { أي: ارتكبتهم واستولت عليهم للرسوخ في نفوسهم فحجبتهم وعدّبتهم وثبتتهم عما أرادوا { وما الحياة الدنيا { أي: الحياة الحسيّة، لأن المحسوس أدنى إلى الخلق من المعقول { إلا لعب { أي: إلا شيء لا أصل له ولا حقيقة سريع الفناء والانقضاء { وللدار الآخرة { أي: عالم الروحانيات { خير للذين { يتجرّدون عن ملابس الصفات البشرية واللذات البدنية { أفلا تعقلون { حتى تختاروا الأشرف الأطيب على الأخس الأدون الفاني. { قد نعلم إنه ليحزنك { عتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظهور نفسه بصفة الحزن { لا يكذبونك { إلى آخره، أي: ليس إنكارهم تكذيبك لأنك لست في هذه الدعوة قائماً بنفسك ولا هذا الكلام صفة لك، بل تدعوهم بالله وصفاته وهذه عادة قديمة.

{ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ آتَاهُم نَصْرًا وَلَا مَبْدَل لِّكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِإِ الْمُرْسَلِينَ {  
 { وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ {  
 { إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ {  
 { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {  
 { وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ {

{ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا { بالله، سلاهم بالله بعدما عاتبه لثلا يبقى في التلوين ولا يتأسف بعد ذهابه عليه فيقع في القبض بل يطمئن قلبه، ولهذا عقبه

بقوله: { ولا مبدّل لكلمات الله { أي: صفات الله التي يتجلى بها لعباده ولا تتغير ولا تبدّل بإنكار المنكرين ولا يمكنهم تبديلها. ونفى عنه القدرة وعجزه بقوله: { وإن كان كبرٌ عليك إعراضهم فإن استطعت { إلى آخره، لئلا تظهر نفسه بصفاتها { فلا تكوننّ من الجاهلين { الذين لا يطلعون على حكمة تفاوت الاستعدادات، فتتأسف على احتجاب من احتجب.

فإن المشيئة الإلهية اقتضت هداية بعض وحرمان بعض لحكمة ترتب النظام وظهور الكمالات الظاهرة والباطنة، فلا يستجيب إلا من فتح الله سمع قلبه بالهداية الأصلية ووهب له الحياة الحقيقية بصفات الاستعداد ونور الفطرة، لا موق الجهل الذين ماتت غريزتهم بالجهل المركب أو بالحجب الجبلية، أو لم يكن لهم استعداد بحسب الفطرة فإنهم لا يمكنهم السماع، بل: { يبعثهم الله { بالإعادة في النشأة الثانية { ثم إليه يرجعون { في عين الجمع المطلق للجزاء أو المكافأة مع احتجابهم. وقد يمكن رفع الحجب في الآخرة للفريق الثاني دون الباقين { ولكن أكثرهم لا يعلمون { نزول الآيات، فإن ظهور كل صفة من صفاته على كل مظهر من مظاهر الأكوان آية له يعرفه بها أهل العلم.

{ وما من دابة في الأرض { إلى آخره، يمكن حمله على المسخ أي: أمم أمثالكم في الاحتجاب والاعتداء وارتكاب الرذائل كأصحاب السبت الذين مسخوا قردة وخنازير { ما فرطنا { ما قصرنا في كتابهم الذي فيه صور أعمالهم وهو صحيفة النفس الفلكية أو صحيفة نيتهم التي ثبتت فيها صور أعمالهم { ثم إلى ربهم يُحشرون { للجزاء، محجوبين في عين الجمع المطلق. والظاهر أن المراد أنهم أمم أمثالكم مريبون بما احتاجوا إليه من معاشهم، مكفيون مؤنتهم بتقدير من الله وحكمه. ما قصرنا في كتاب اللوح المحفوظ من شيء يصلحهم بل أثبتنا فيه أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكل ما احتاجوا إليه،

{ ثم إلى ربهم يحشرون { لجزاء أعمالهم كما هو مروى في الحديث من حشر الوحوش، وقصاص الأعمال بينهم، وكل واحدة منها آية لكم تعرف بها أحوالكم وأرزاقكم وآجالكم وأعمالكم، فاعتبروا بها ولا تصرفوا هممكم ومساعدكم في طلب الرزق وإصلاح الحياة الدنيا فتحسروا أنفسكم وتضروها وتشقوا بها في آخرتكم.

{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ

وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ

أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {

{ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ {

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ

يَتَضَرَّعُونَ {

{ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {

{ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ

حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ {

{ فَفُطِحَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ

غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذُقُونَ {

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً

هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ {

{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {

{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {

{ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ

هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ {

{ والذين كذبوا { بتجليات صفاتنا لاحتجابهم بغواشي صفات نفوسهم { صمّ { بأذان القلوب فلا يسمعون كلام الحق { وكنم { بألسنتها التي هي العقول فلا ينطقون بالحق في ظلمات صفات نفوسهم وجلايب أبدانهم وغشاوات طبائعهم كالدواب، فكيف يصدّقونك وما هداهم الله لذلك بالتوفيق  
 { من يشأ الله يضلله { بإسبال حجب جلاله { ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم { بإشراق نور وجهه وسبحات جماله { قل أرأيتمكم { إلى آخره،  
 أي: كل مشرك عند وقوعه في العذاب أو عند حضور الموت إن فسرنا الساعة بالقيامة الصغرى أو رفع الحجاب بالهداية الحقانية إلى التوحيد الحقيقي، إن فسرناها بالقيامة الكبرى يتبرأ عن حول من أشركه بالله وقوته ويتحقق أن لا حول ولا قوة إلا بالله ولا يدعو إلا الله، وينسى كل من تمسك به وأشركه بالله من الوسائل، ولهذا قيل:  
 البلاء سوط من سياط الله، يسوق عباده.

أما ترى كيف عقب كلامه بمقارنة الأخذ بالبأساء والضراء بإرسال الرسل. لعل تضاعف أسباب اللطف، كقود الأنبياء وسوق العذاب، يزعجهم عن مقارّ نفوسهم ويكسر سورتها وشدة شكيמתها، فيطيعوا ويبرزوا من الحجاب وينقادوا متضرّعين عند تجلي صفة القهر وتأثيرها فيهم، ثم بيّن أنهم ما تضرّعوا لقساوة قلوبهم بكثافة الحجاب وغلبة غشّ الهوى وحب الدنيا وميل اللذات الجسمانية.

{ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ }

لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَايٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {

{ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ

مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ

فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ {

{ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ {

{ وأنذر به الذين يخافون { أي: أنذر بما أوحى إليك المستعدّين الذين هم أهل الخوف والرجاء، وأعرض عن الذين قست قلوبهم فإنه لا ينجع فيهم

كما قال في أول الكتاب: { هُدَىٰ لِّلْمُتَّقِينَ }

[البقرة، الآية: ٢]. { أن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ } أي: يعلمون بصفاء استعدادهم أنه لا بد من الرجوع إلى الله، فيخافون أن يحشروا إليه في حال كونهم محجوبين عنه بحجب صفاتهم وأفعالهم لا وليّ ينصرهم غير الله فينقذهم من ذلّة البعد وعذاب الحرمان، ولا شفيع يشفع لهم فيقربهم منه، ويكرمهم لفناء الذوات والقدر كلها في الله، وقهره إياهم،

كما قال تعالى: { يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ أَلَّهِ

مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ }

[غافر، الآية: ١٦]، فيتعظون بسماعهم له ويحدث فيهم الرجاء فيشتمرون في السلوك بالجد والاجتهاد { لعلمهم يتّقون } لكي يحذروا حجب أفعالهم وصفاتهم وذواتهم، ويتجرّدوا عنها بالمحو والفناء في الله، ويتجه أن يكون الوليُّ القلب، والشفيع الروح، أي: لم يصلوا إلى مقام القلب الذي هو وليّ النفس فينقذها من العذاب وينصرها من الحرمان، ولا إلى مقام الروح فتشفع لهم بإمداد مدد القرب لها واستمدادها من الله وتتوسل بينهم وبين الله. { ولا تُطْرَدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ } أي: لا تترجمهم به، وهم أهل الوحدة الكاملون الواصلون، فإن الإنذار كما لا ينجع في الذين قست قلوبهم لا ينفع في الذين طاشت قلوبهم في الله وتلاشت { ربّهم بالغداة والعشيّ }

أي: يخصونه بالعبادة دائماً بحضور القلب وشهود الروح وتوجه السرِّ إليه، لا يريدون بالعبادة إلا ذاته بالمحبة الأزلية لا يجعلون عبادتهم معللة بغرض من توقع ثواب جنة أو خوف عقاب أو نعمة، ولا يريدونه بمحبة الصفات فتتغير إرادتهم باختلاف تجلياتها ولا يستحلون توسيط ذاته في مقصد أو مطلب بل شاهدوا فناء الوسائط والوسائل فيه ولم يبق في شهودهم شيء يقح نظرهم عليه حتى ذواتهم { ما عليك من حسابهم } فيما يعملون من شيء،

أي: لا واسطة بينهم وبين ربّهم من ملك أو نبيّ فليست من دعوتهم إلى طاعة أو إلى جهاد أو إلى غير ذلك في شيء، فحسابهم على الله إذ عملهم ليس إلا بالله وفي الله { وما من حسابك عليهم من شيء } أي: لا يخوضون في أمور دعوتك بنصر وإعانة للإسلام ولا بدفع وقمع للكفر لاشتغالهم بالله عما سواه ودوام حضورهم كما

قال تعالى: { الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَأْمُونَ }

{المعارج، الآية: ٢٣} لا يعينهم شأن من أمرك ونبوتك { فطردهم } عما هم عليه من دوام الحضور بإنهاضهم لشغل ديني أو مصلحة أو تشوّش وقتهم وجمعيتهم { فتكون من الظالمين } { وكذلك فتناً } أي: مثل ذلك الفتق والابتلاء العظيم فتناً { بعضهم } وهم المحجوبون بالبعض، فإن المحجوبين لما لم يروا منهم إلا صورتهم وسوء حالهم في الظاهر وفقدهم ومسكنتهم، ولم يروا قدرهم ومرتبتهم وحسن حالهم في الباطن، استحققروهم وازدرتهم أعينهم بالنسبة إلى ما هم فيه من المال والجاه والتعم وخفض العيش فقالوا فيهم:

{ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } { وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ سَابِلٍ

الْمُجْرِمِينَ }

{ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }

{ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ

الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ } { قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا

تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ }

{ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا { بمحو صفاتهم } { فقل سلامٌ عليكم } لتنزهكم عن عيوب صفاتكم وتجردكم عن ملبسها { كتب ربكم على نفسه الرحمة } { ألزم ذاته إبدال صفاتكم بصفاته رحمة لكم، لأن في الله خلفاً عن كل ما فات } { أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة } أي: ظهر عليه في تلويحه صفة من صفاته بغيبة وغفلة، ثم رجع عن تلويحه من بعد ظهور تلك الصفة وفاء إلى الحضور فعرّفها وقمعها بالإنبابة إلى الله والتضرّع بين يديه والرياضة { فإنه غفور } يسترها عنه { رحيم } يرحمه بهبة التمكين ونعمة الاستقامة. { وكذلك نفصل الآيات }

أي: مثل ذلك التبيين الذي بينا لهؤلاء المؤمنين نبين لك صفاتنا { ولتستبين سبيل }

المحجوبين بصفاتهم الذين يفعلون ما يفعلون بها وذلك إجرامهم.  
 { قل إني نهيت أن أعبد { ما سوى الله من الذين تعبدون بهواكم من مال أو نفس  
 أو شهوة أو لذة بدينية أو غير ذلك، فلا { أتبع أهواءكم { عبادتها فأصل إذأً باحتجاي  
 بها فلا أهتدي إلى التوحيد ومعنى الماضي أنه تحقق ضلالي على هذا التقدير وما  
 أنا من الهدى في شيء.

{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ }

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ

وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ {

{ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ

لِيُقَضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {

{ وعنده مفاتيح الغيب { إلى آخره، اعلم أن الغيب مراتب أولها غيب الغيوب وهو  
 علم الله المسمى بالعناية الأولى، ثم غيب عالم الأرواح وهو انتقاش صورة كل ما  
 وجد وسيوجد من الأزل والأبد في العالم الأول العقلي الذي هو روح العالم المسمى  
 بأم الكتاب على وجه كلي، وهو القضاء السابق. ثم غيب عالم القلوب وهو ذلك  
 الانتقاش بعينه مفصلاً تفصيلاً علمياً كلياً وجزئياً في عالم النفس الكلية التي هي  
 قلب العالم المسمى باللوح المحفوظ ثم غيب عالم الخيال وهو انتقاش الكائنات  
 بأسرها في النفوس الجزئية الفلكية المنطبعة في أجرامها معينة مشخصة مقارنة  
 لأوقاتها على ما يقع بعينه،

وذلك العالم هو المعبر عنه في الشرع بالسماء الدنيا إذ هو أقرب مراتب الغيوب إلى  
 عالم الشهادة ولوح القدر الإلهي الذي هو تفصيل قضائه وعلم الله،  
 وهو العناية الأولى عبارة عن إحاطته بالكل بحضور ذاته لكل هذه العوالم التي  
 هي عين ذاته فيعلمها مع جميع تلك الصور التي فيها بأعيانها لا بصورة زائدة  
 فهي عين علمها ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فالمفتاح إن كان  
 جمع مفتاح بفتح الميم الذي هو المخزن فمعناه عنده هذه الخزائن المشتملة على  
 جميع الغيوب لحضور ذاته لها

{ لا يعلمها إلا هو { وإن كان جمع مفتاح بكسر الميم بمعنى المفتاح، فمعناه إما ذلك

المعنى بعينه يعني أبوابها مغلقة ومفاتيحها بيده لا يطلع على ما فيها أحد غيره. وإما أن أسباب إظهارها وإخراجها من مكانه إلى عالم الشهادة حتى يطلع عليه الخلق بيد قدرته وتصرفه محفوظة عنده لا يقدر غيره على انتزاعها منه حتى يطلع على ما فيها وهي أسماؤه تعالى، والكتاب المبين لا يقدر غيره على انتزاعها منه حتى يطلع على ما فيها وهي أسماؤه تعالى، والكتاب المبين هو السماء الدنيا لتعين هذه الجزئيات فيها مع عددها وتشخصها. { ثم يبعثكم فيه } أي: فيما جرحتم من صواب أعمالكم ومكاسبكم للجزاء { ليقضى أجل } عينه للبعث والإحياء. ثم إلى ربكم ترجعون في عين الجمع المطلق فينبئكم بإظهار صور أعمالكم عليكم وجزائكم بها.

{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ  
الْمَوْتَ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ }

{ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَىٰ آلِهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ۗ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ }

{ وهو القاهر فوق عباده } بتصرفه فيهم كما شاء وإفنائهم في عين الجمع المطلق إذ لا شيء إلا وهو مقهور فيه { ويرسل عليكم حفظة } هي قواهم التي ينطبع فيها كل حال بحسب الرسوخ وعدمه، فيظهر عليهم عند انسلاخهم عن البدن فيتمثل بصور تناسبها إما روحانية لطيفة توصل إليها الروح والثواب، وإما جسمانية مظلمة توصل إليها العذاب بل تظهر تلك الصور على جوارحها وأعضائها فتتشكل بهياتها وتنطق عليهم بأعمالها بلسان الحال. والقوى السماوية التي أشرنا إليها وإلى انتقاش جميع الحوادث الجزئية فيها فتظهر عليهم بأسرها عند مفارقتها عن بدنها، لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها عليهم وهي بأعيانها الرسل التي توفتهم عند الموت. والرد أيضاً يكون في عين الجمع المطلق فإنه للجزاء { وهو أسرع الحاسبين } لوقوع حسابهم في آن وهو: توفيتهم.

{ قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا  
وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }  
{ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ }

{ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ  
 أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ  
 أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَّرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ }

{ قل من ينجيكم من ظلمات البرّ } التي هي حجب الغواشي البدنية والصفات  
 النفسانية { و } ظلمات { البحر } التي هي حجب صفات القلوب وفكر العقول  
 { تدعونه } إلى كشفها { تضرعاً } في نفوسكم { وخفية } في أسراركم  
 { لئن أنجيتنا من هذه } الحجب { لنكوننّ من } الذين شكروا نعمة الإنجاء  
 بالاستقامة والتمكين { قل الله ينجيكم منها } بكشف تلك الحجب بأنوار تجليات  
 صفاته { ومن كل كرب } أي: ما بقي في استعدادكم بالقوة من كمالاتكم بإبرازها  
 حتى لو كانت بقية من بقايا وجودكم كرباً لكم لاستعدادكم للفناء والخلاص منها  
 بالكلية لقوة الاستعداد وكمال الشوق لأنجاكم منها { ثم أنتم } بعد علمكم بهذا  
 المقام الشريف وما ادّخر لكم { تشركون } به أنفسكم وأهواءكم فتعبدونها.  
 { قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم } باحتجابكم بالمعقولات  
 والحجب الروحانيات { أو من تحت أرجلكم } باحتجابكم بالحجب الطبيعية  
 { أو يلبسكم شيعاً } أو يخلطكم فرقاً متفرقة كل فرقة على دين قوة من قواكم  
 هي أمامهم تقابل الفرقة الأخرى فيقع بينكم الهرج والمرج والقتال، أو فرقاً مختلفة  
 العقائد كل فرقة على دين دجال أو شيطان أنسيّ أو جنّي هو إمامهم، أو يجعل  
 أنفسكم شيعاً باستيلاء كل قوة من قواكم على القلب بطلب لذتها المخصوصة بها،  
 إحداها تجذبه إلى غضب والأخرى إلى شهوة أو طمع أو غير ذلك، فيغرق القلب  
 عاجزاً فيما بينهم، أسيراً في قبضتهم، كلما همّ بتحصيل لذة هذه منعتة الأخرى،  
 ويقع بينهم الهرج والمرج في وجودكم لعدم ارتياضهم بسياسة رئيس واحد قاهر  
 يقهرهم ويسوسهم بأمر وحدائي يقيم كلاً منهم في مقامها، مطيعة منقادة فتستقيم  
 مملكة الوجود ويستقرّ الملك على رئيس القلب. وعلى هذا التأويل يكون كل واحد  
 منهم فرقة أو فرقاً متفرقة على أديان شتى لا شخصاً واحداً.

{ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ }

{ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا }

فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا  
تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {

{ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }  
{ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ  
تُنْسَلِ نَفْسٌ مِمَّا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ  
عَدْلٍ لَأَيُّخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ  
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ }

{ وكذب به } أي: بهذا العذاب { قومك وهو الحق } الثابت النازل بهم { قل لست  
عليكم بوكيل } موكل يحفظكم ويمنعكم من هذا العذاب { لكل } ما ينبأ عنه محل  
وقوع واستقرار { وسوف تعلمون } حين يكشف عنكم أغطية أبدانكم فيظهر عليكم  
أم هذا العذاب بصور ما تقتضيه نفوسكم. { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا }  
أي: صفاتنا بإظهار صفات نفوسهم وإثبات العلم والقدرة لا { فأعرض عنهم } فإنهم  
محبوبون مشركون { وإما ينسيتك الشيطان } بتسويل بعض الأباطيل والخرافات  
عليك، ووسوسة نفسك فتظهر ببعض صفاتها وتجانسهم بذلك فتميل إلى صحبتهم  
{ فلا تقعد بعد } ما تذكرت بتذكيرنا إياك { مع القوم } الذين ظلموا أنفسهم بوضع  
صفاتهم موضع صفاتي وحبوبها بصفاتهم فإن صحبتهم تؤثر فيوشك أن تقع في  
الاحتجاب بشؤم صحبتهم على سبيل التلوين. { وما على } الموحدين الذين يتجردون  
عن ملابس صفاتهم ويجتنبون هياتها من حساب أولئك المحبوبين { من شيء } أي:  
لا يحتجبون بواسطة مخالطتهم فيكونون معهم سواء ولكن ذكرناهم لعلهم يحترزون  
عن صحبتهم وما عسى يقعون فيه من التلوين أو وبالهم وشأنهم وحسابهم حتى  
يصاحبونهم ولكن فليذكروهم أحياناً بأدنى مخالطة لعلهم يحذرون شرهم وحببهم  
فينجون ببركة صحبتهم أو وما عليهم مما يحاسب به من أعمالهم ووبالها من  
شيء ولكن فليذكروهم بالزجر والنهي لعلهم يحترزون عنها. { وذر الذين اتخذوا }  
أي: اترك الذين دينهم وعاداتهم الهوى واللهو لأنهم لا يرفعون بذلك رأساً لرسوخ  
ذلك الاعتقاد فيهم واغترارهم بالحياة الحسبية وأعرض عنهم وأنذر بالقرآن كراهة

أن تحجب نفس بكسبها، أي: لا يكون دينها ودينها ذلك ولم ترسخ تلك العقيدة فيها لكن ترتكب بالميل الطبيعي أفعالاً مثل أفعالهم فتحجب بسببها فإنها تتأثر به وتتعض فتنتهي، فأذرها حتى لا تصير مثلهم فتحبس بعملها عن الهداية وحينئذ لا يقبل منها فدية إذ حجت بكسبها. والشراب الحميم هو شدة شوقها إلى الكمال لقوة استعدادها. والعذاب الأليم حرمانها عنه باحتياجها بأعمالها وهيأتها.

{ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ اثْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {  
وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {  
{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ  
الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْعِيبِ وَالشَّهَادَةُ  
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ }

{ قل أدعو من دون الله { أي: أنعبد ما لا قدرة ولا وجود له حقيقة فينفع أو يضر { ونرد { إلى الشرك { على أعقابنا بعد إذ هدانا الله { الهداية الحقيقية إلى التوحيد { كالذي { ذهبت به شياطين الوهم والتخيل في مهمة أرض النفس { حيران { لا يدري أين يمشي وما يصنع بلا طريق ولا مقصد { له أصحاب { رفقاء من الفكر والعاقلة العملية والنظرية { يدعونه إلى الهدى { يقولون { اثنتا { فإن هذا هو الطريق ولا يسمع لارتفاق سمع قلبه بالهوى { قل إن { هداية الله التي هي طريق التوحيد { هو الهدى { لا غير { وأمرنا لنسلم لرب العالمين { لننقاد لصفة الربوبية محو صفاتنا في المتجلى بها وإسلامها إليه ونقسم صلاة الحضور القلبي ونتقيه ونجعله وقاية لنا في الصفات ليكون هو الموصوف به، فنتخلص به عن وجودنا فيكون هو المحشور إليه بذاته عند فئتنا فيه.

{ وهو الذي خلق { سموات الأرواح وأرض الجسم قائماً بالعدل الذي هو مقتضى ذاته { ويوم يقول كن فيكون { أي: وقت السرمدي الذي هو أزل آزال ظهور الأشياء في أزلية ذاته التي هي أزلية الأزل مطلقاً وهو حين تعلق إرادته القديمة بالظهور

في تعيينات ذاته المعبر عنه بقوله: كن، وهو بعد أزلية الأزال بالاعتبار العقلي لا أنها تتأخر عن تلك الأزلية بالزمان بل بالترتيب العقلي الاعتباري في ذاته تعالى، فإن التعينات تتأخر عن مطلق الهوية المحضة عقلاً وحقيقة وظهورها بالإرادة المسماة بقوله :

{ كن فيكون } بلا فصل وتأخير يعبر عنه بـ: (يكون)، لأنها لم تكن في الأزل فكانت { قوله الحق } أي: في ذلك الوقت سيما سرمدى إرادته التي اقتضت وجود المبدعات على ما هي عليه ثابتة في حالها غير متغيرة، اقتضت ما اقتضت وجود المبدعات على ما هي عليه ثابتة في حالها غير متغيرة، اقتضت ما اقتضت على أحسن ما يكون من النظام والترتيب وأعدل ما يكون من الهيئة والتركيب.

{ يوم ينفخ في الصور } وقت نفخه في الصور أي: إحياء صور المكنونات بإفاضة أرواحها عليها لا ملك إلا له فإنها بنفسها ميتة لا وجود لها ولا حياة فضلاً عن المالكية { عالم الغيب } أي: حقائق عالم الأرواح التي هي ملكوته { والشهادة } أي: صور عالم الأجسام التي هي ملكه { وهو الحكيم } الذي أوجدها ورتبها بحكمته فأفاض على كل صورة ما يليق بها من الأرواح { الخبير } الذي علم أسرارها وعلانيتها وخواصها وأفعالها، تلخيصه:

هو مبدع الأرواح والجسم المطلق بإرادته القديمة الأزلية الثابتة التي لا تغير فيها أبداً إبداعاً على وجه العدل والحكمة الذي اقتضاه ذاته ومكون الكائنات بإنشائها في عالم الملك الذي هو مالكه لا غير، كيف شاء عالماً بما يجب أن يكون عليها حكيماً في اتقانها ونظامها وترتيبها، خبيراً بما يحدث فيها من الأحوال الحادثة على حسب إرادته بذاته لا شريك له في ذلك كله.

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً }

{ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }

{ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ }

{ وإذ قال إبراهيم لأبيه } أي: اذكر وقت سلوك إبراهيم طريق التوحيد عند تبصيرنا وهدايتنا إياه واطلاعه على شرك قومه واحتجابهم بظهور عالم الملك عن حقائق عالم الملكوت وربوبيته تعالى للأشياء بأسمائه معتقدين لتأثير الأجرام والأكوان،

ذاهلين بها عن المكُون فعيّرهم بذلك وقال لمقدّمهم وأكبرهم أبيه: { أتتخذ أصناماً  
 آلهة } وتعتقد تأثيرها { إني أراك وقومك في ضلال مبين } ظاهر يعرف بالحسّ، ومثل  
 ذلك التبصير والتعريف العام الكامل نعرف إبراهيم ونريه  
 { ملكوت السموات والأرض } أي: القوى الروحانية التي يدبر الله بها أمر السموات  
 والأرض، فإن لكل شيء قوة ملكوتية تحفظه وتدبر أمره بإذن الله  
 { وليكون من الموقنين } فعلنا ذلك أي:

بصّراه ليعلم ويعرف أن لا تأثير إلا لله، يدبر بأسمائه التي هي ذاته  
 مع كل واحدة من الصفات، فتتكثر الأفعال من رواء حجب الأكوان.  
 فلمحجوب بالكون واقف مع الحس يرى تلك الأفعال من الأكوان والمجازو عنه  
 الذي خرق حجاب الكون ووقف مع العقل محبوساً في قيده يراها من الملكوت،  
 والمهتدي بنور الهداية الإلهية المنفتحة عين بصيرته يرى أن الملكوت بالنسبة إلى ذات  
 الله تعالى كامله بالنسبة إلى الملكوت، فكما لا يرى التأثير من الأكوان لا يراها من  
 ملكوتها بل من مالكتها ومكونها، فيقول حقاً: لا إله إلا الله.

{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَحِبُّ الْأَفْلِينَ }

{ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي

لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ }

{ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ

قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ }

{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

{ فلما جنّ عليه الليل } أي: فلما أظلم عليه ليل عالم الطبيعة الجسمانية في صباه  
 وأول شبابه { رأى } كوكب ملكوت الهيكل الإنساني التي هي النفس المسماة روحاً  
 روحانية وجد فيضه وحياته وربوبيته منها إذ كان الله تعالى يريه في ذلك الحين  
 باسمه المحيي، فقال بلسان الحال: { هذا ربي فلما أفل } بعبوره عن مقام النفس  
 وطلوع نور القلب وإشراقه عليه بآثار الرشد والتعقل ومعرفته لإمكان النفس

ووجوب انطباعها في الجسم { قال لا أحبّ الآفلين { الغاربيين في مغرب الجسم، المحتجبين به، المتسترين بظلمة الإمكان والاحتياج إلى الغير { فلما رأى { قمر القلب بازغاً بوصوله إلى مقام القلب وطلوعه من أفق النفس بظهوره عليه ورأى فيضه بمكاشفات الحقائق وعلمه وربوبيته منه، إذ كان الله تعالى يريه حينئذ باسمه العالم والحكيم { قال هذا ربي فلما افل { باحتجابه عنه وعبوره عن طوره وشعوره بأن نوره مستفاد من شمس الروح وإنه قد يتغيب في ظلمة النفس وصفاتها فيحتجب بها ولا نور له أعرض عن مقامه سالكاً طريق تجلي الروح قائلاً: { لئن لم يهديني ربي { إلى نور وجهه { لأكونن من القوم الضالين {

الذين يحتجبون بالبواطن عنه كالنصارى الواقفين مع الحجب النورانية.  
 { فلما رأى الشمس { الروح { بازغاً { بتجليها عليه وظهور نورها وجد فيضه وشهوده وربوبيته منها إذ كان الله تعالى يريه حينئذ باسمه الشهيد والعلي العظيم { قال هذا ربي هذا أكبر { لعظمته وشدة نورانيته { فلما أفلت { باستيلاء أنوار تجلي الحق وطلوع سبحات الوجه الباقي، وانكشف حجاب الذات بوصوله إلى مقام الوحدة رأى النظر إلى الروح وإلى وجوده مشركاً فقال: { يا قوم إني بريء مما تُشركون { به أي: أي شيء كان إذ لا وجود لغيره { إني وجهت وجهي { أي: أسلمت ذاتي ووجودي { للذي { أوجد سموات الأرواح وأرض النفس مائلاً عن كل ما سواه حتى عن وجودي بالفناء فيه { وما أنا من المشركين { أي: لست من الشرك في شيء، كوجود البقية وظهورها وغير ذلك.

{ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ {  
 { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {  
 { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ {  
 { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ  
 { إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {

{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ  
 دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {  
 { وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ {  
 { وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {  
 { وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ  
 وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } { ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ  
 مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {  
 { أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ  
 فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ {  
 { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا  
 إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {  
 { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشْرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ  
 أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ  
 تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ  
 وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ {  
 { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارِكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ  
 حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {  
 { وحاجه قومہ } في نفي التأثير عن الأجرام والأكون وترك تعبد كل ما سوى الله  
 { قال أتجاجوني في الله وقد هدان } إلى توحيده { ولا أخاف ما تشركون } وتقولون  
 بتأثيره أبداً { إلا } وقت { أن يشاء ربي شيئاً } من جهتها بي من مكروه أو ضرر يلحقني  
 من جهتها وذلك منه وبعلمه لا منها.  
 { وسع ربي كل شيء علماً } يعلم حالي وما فيه صلاحي، إن علم إضارتي من جهتها  
 أولى بي فعل { أفلا تتذكرون } فتميزوا بين العاجز والقادر.

{ الذين آمنوا } بالتوحيد الذاتي { ولم } يخلطوا { إيمانهم بظلم } من ظهور نفس القلب أو وجود بقية فإنها شرك خفي { أولئك لهم الأمن } الحقيقي الذي لا خوف معه { وهم مُهْتَدُونَ } بالحقيقة إلى الحق { وتِلْكَ حِجَّتُنَا } أي: حجة التوحيد التي احتجَّ بها إبراهيم على قومه { كل من الصالحين } الذين يقومون بصلاح العالم وضبط نظامه وتدبيره لاستقامتهم بالوجود الموهوب الحقاني بعد فناء الوجود البشري { وكلاً فضلنا على } عالمي زمانهم.

{ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء } أي: ما عرفوه حق معرفته إذ بالغوا في تنزيهه حتى جعلوه بعيداً من عباده بحيث لا يمكن أن يظهر من علمه وكلامه عليهم شيء ولو عرفوه حق معرفته لعلموا أن لا وجود لعباده ولا لشيء آخر إلا به. والكل موجود بوجوده لا وجود إلا له جميع عالم الشهادة ظاهره وعالم الغيب باطنه، ولكل باطن ظاهر، فأى حرج من ظهور بعض صفاته على مظهر بشري بل لا مظهر لكمال علمه الباطن وحكمته إلا الإنسان الكامل.

فالنبي من حيث الصورة ظاهره، ومن حيث المعنى باطنه ينزل علمه على قلبه ويظهر على لسانه ويدعو به عباده إلى ذاته ولا إثنية إلا باعتبار تفاصيل صفاته. وأما باعتبار الجمع فلا أحد موجود إلا هو لا النبي ولا غيره، فإذا اعتبرنا تفاصيل صفاته وأسمائه يظهر النبي تبعية الخاص في ذاته تعالى ببعض صفاته فيصير اسماً من أسمائه، وإذا كان كاملاً في نبوته يكون الأعظم الذي لا تفتح أبواب خزائن غيبه ووجوده وحكمته إلا به كما سمعت. فلا تنكر إن عجت وحرمت من فهمه وبهت، فعسى أن يفتح الله عين بصيرتك فترى ما لا عين رأت أو سمع قلبك، فسمع ما لا أذن سمعت أو ينور قلبك فتدرك ما لا خطر على قلب بشر.

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ مِمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ }  
{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكَبْتُمْ مَا Χَوْلْتُمْ وِرَاءَ

ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ {

{ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً { بادعاء الكمال والوصول إلى التوحيد والخلاص عن كثرة صفات النفس وازدحامها مع بقائها فيه فيكون في أقواله وأفعاله بالنفس وهو يدعي أنه بالله { أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء { أي: حسب مفتريات وهمه وخياله ومخترعات عقله وفكره وحيماً من عند الله وفيضاً من الروح القدسي فتنبأ { ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله { أي: تفرعن بوجود أنانيته وتوهم التوحيد العلمي عينياً، فادعى الإلهية { ولو ترى إذ الظالمون { أي: هؤلاء الظلمة من المدّعين للكمال المحجوبين الذين يزعمون كون أفعالهم إلهية وهي نفسانية والمتنبئين والمتفرعين { في غمرات الموت {

أي: شدائده وسكراته لافتقادهم في دعواهم وغلطهم في حسابانهم أنهم قد فنوا عن أنفسهم وتجرّدوا عن ملابس أبدانهم مع شدة تعلقهم بها وقوة محبة الدنيا ورسوخ الهوى فيهم لأنهم ما ماتوا بالموت الإراديّ والتجرّد عن الشهوات واللذات البدنية، وما فنوا عن صفات نفوسهم ودواعيها حتى يسهل عليهم الموت الطبيعي { والملائكة { أي: قوى العالم التي كانت تمدّ قواهم النفسانية من النفوس الكوكبية والفلكية وتأثيراتها التي كانت تستولي عليهم في حياتهم مع ظنهم أنهم تخلصوا منها بالتجرّد كما أشرنا إليه { باسطو أيديهم { قوية التأثير فيهم، بالغة فيه كنه قواها وقدرها { أخرجوا أنفسكم { أي: تعنفهم وتقهرهم لشدة تعكفهم وكثرة تحسرهم وصعوبة مفارقة الأبدان عليهم { اليوم تُجْرَزُونَ عذاب الهون { والصغار بوجود صفات نفوسكم وهيأتها المظلمة المؤذية ووجب أنانيتكم وتفرعنكم كما قال:

{ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ }

[الأنعام، الآية: ١٣٩] { بما كنتم تقولون على الله غير الحق { أي: بسبب افتراءكم على الله، أعمالكم وأقوالكم الصادرة من صفات نفوسكم وأهوائها { وكنتم عن آياته تستكبرون { وبسبب احتجاجكم بأنانيتكم وتفرعنكم معجبين بصفاتكم غير مدعنين بمحوها لصفاتنا محجوبين عنها بوجودها مستكبرين بها عنها.



باحترابه بهما وعنهما في ستور جلاله، وتارة بتجليه وقهرهما وإفنائهما يعلم ما يفعل بحكمته.

{ وهو الذي جعل لكم { نجوم الحواس { لتتهادوا بها في ظلمات { بزّ الأجساد إلى مصالح المعاش وبحر القلوب باكتساب العلوم بها { قد فصلنا الآيات { أي: الروح والقلب والحواس { لقوم يعلمون { ذلك { وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة { هي النفس الكلية { فمستقرّ { في أرض البدن حال الظهور { ومستودع { في عين جمع الذات حال الفناء. { قد فصلنا { آيات ظهور النفس واستقرارها واستيادها { لقوم يفقهون { بتنوّر قلوبهم وصفاء فهمهم.

{ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ

دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ

شَرِّهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُ

وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ { { بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ لَّهُ

وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صُحْبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {

{ وهو الذي أنزل { من سماء الروح ماء العلم { فأخرجنا به نبات { كل صنف من الأخلاق والفضائل { فأخرجنا { من النبات هيئة خضرة النفس وزينة حسنة جميلة وبهجة بالعلم والخلق { نخرج { من تلك الهيئة والنفس الطرية الغضة أعمالاً مترتبة شريفة مرضية، ونبات صادقة يتقوى بها القلب، ومن نخل العقل من ظهور تعلقها معارف وحقائق قريبة التناول لظهورها بنور الروح كأنها بديهية { وجنّات من أعناب { الأحوال والأذواق وخصوصاً أنواع المحبة القلبية المسكر عصيرها وسلافها، وزيتون التفكّر، ورمّان التوهّمات الصادقة التي هي الهمم الشريفة، والعزائم النفيسة { مشتبهاً { بعضها ببعض كالتعلقات والتفكرات والمعارف والحقائق والأعمال والنبات وكمحبة الذات ومحبة الصفات

{ وغير متشابهه { كأنواع المحبة مع الأعمال مثلاً، أو مشتبهاً برتبها وقوتها وضعفها وجلاتها وخفائها وغير متشابهه فيه { انظروا إلى ثمره إذا أثمر { وراعوه بالمراقبة عند السلوك وبدء الحال، وليكن نظركم من اللذات إلى هذه الثمرات { وينعه { وكماله عند الوصول بالحضور { إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون { بالإيمان العلمي، ويوقنون هذه الآيات والأحوال التي عدّناها.

{ وجعلوا لله شركاء الجنّ { أي: جعلوا جنّ الوهم والخيال شركاء لله في طاعتهم لها وانقيادهم. وقد علموا أنّ الله خلقهم فكيف يعبدون غيره { وخرقوا له { اختلقوا بالافتراء المحض { بنين { من العقول { وبنات { من النفوس يعتقدون أنها مؤثرات ومجردات مثله تولدت منه { بغير علم { منهم أنها أسماؤه وصفاته لا تؤثر إلا به { سبحانه وتعالى { تنزه عن أن يكون وجوداً مجرداً مخصوصاً بتعيين خاص واحداً من الموجودات المتعينة يصدر عنه وجودات العقول المجردة والنفوس وتعاضم { عمّا يصفون { به علواً كبيراً.

{ بديع السموات والأرض { أي: عديم النظير والمثل في سموات عالم الأرواح وأرض عالم الأجساد { أنى يكون له ولد { أي: كيف يماثله شيء { ولم تكن له صاحبة { لأن صاحبة لا تكون إلا متجانسة وهو لا يجانس شيئاً، وإذا لم يجانس شيئاً لم يماثله فلم يكن له مثل يتولد منه { وخلق كل شيء { بتخصيصه يتعين في ذاته وإيجاده بوجوده لا بأنه موجود مثله { وهو بكل شيء عليم { يحيط علمه بالعقول والنفوس وغيرها كما يحيط وجوده بها وهي محاطة لا تحيط بعلمه ولا تعلم إلا بعلمه ولا توجد إلا بوجوده فلا تماثله لأنها بأنفسها معدومة، وأنى يماثل المعدوم الموجود المطلق.

{ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ {

{ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ {

{ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا

وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ {

{ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلَيُبَيِّنَنَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {

{ أَتَّبِعُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }  
 { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بَوكِيلٌ }  
 { وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ  
 زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }  
 { ذَلِكَم } البديع العديم المثل الموصوف بجميع هذا الصفات { الله ربكم لا إله

في الوجود { إلا هو } أي: لا موجود إلا هو باعتبار الجمع { خالق كل شيء } باعتبار  
 تفاصيل صفاته فخصوا العبادة به، أي: بالوجود الموصوف بجميع الصفات الذي هو  
 الله دون من سواه { وهو على كل شيء وكيل } أي: لا يستحق العبادة إلا المبدئ  
 لكل شيء وهو مع ذلك وكيل على الكل يحفظها ويدبرها ويوصل إليها الأرزاق وما  
 تحتاج إليه حتى تبلغ الكمال اللاحق بها.

{ لا تدركه الأبصار } أي: لا تحيط به لأنه اللطيف الجليل عن إدراكها، وكيف تدركه  
 وهي لا تدرك أنفسها التي هي نور منه؟! { وهو يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ } لإحاطته بكل شيء  
 ولطف إدراكه { قد جاءكم بصائر من ربكم } أي: آيات بينات هي صور تجليات  
 صفاته التي هي أنوار بصائر القلوب. والبصيرة نور يصر به القلب، كما أنّ البصر  
 نور تبصر به العين، { فمن أَبْصَرَ } أي: صار بصيراً بها، فإنما فائدة إبطاره وهدايته  
 لنفسه ومن حجب عنها فإنما مضرة احتجابه لا تتعدى إلى غيره بل إليه { وما أنا  
 عليكم بحفيظ } رقيب يرقبكم ويحفظكم عن الضلال، بل الله حفيظ يحفظكم  
 ويحفظ أعمالكم { ولو شاء الله ما أشركوا } أي: كل ما يقع فإنما يقع بمشيئة الله  
 ولا شك أن استعداداتهم التي وقعوا بها في الشرك وأسباب ذلك من تعليم الآباء  
 والعادات وغيرها أيضاً واقعة بإرادة من الله وإلا لم تقع. فإن آمنوا بذلك فبهديّة  
 الله وإلا فهوون على نفسك { وما جعلناك عليهم حفيظاً } تحفظهم عن الضلال  
 وما أنت { موكل عليهم بالإيمان. ولا ينافي هذا ما قال في تعبيرهم فيما بعد بقوله:

{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا }

[الأنعام، الآية: ١٤٨] لأنهم قالوا ذلك عناداً ودفعاً للإيمان بذلك التعلل لا اعتقاداً،  
 فقولهم ذلك وإن كان صدقاً في نفس الأمر لكنهم كانوا به كاذبين، مكذبين للرسول  
 صلى الله عليه وسلم، إذ لو صدقوا لعلموا أنّ توحيد المؤمنين أيضاً بإرادة الله وكذا

كل دين. فلم يعاندوا ولم يعادوا أحداً، ولو علموا أن كل شيء لا يقع إلا بإرادة الله لما بقوا مشركين بل كانوا موحدين، لكنهم قالوه لغرض التكذيب والعناد وإثبات أنه لا يمكنهم الانتهاء عن شركهم فذلك عيرهم به لا لأنه ليس كذلك في نفس الأمر، فإنهم لم يطلعوا على مشيئة الله وأنه كما أراد شركهم في الزمان السابق لم يرد إيمانهم الآن إذ ليس كل منهم مطبوع القلب بدليل إيمان من آمن منهم. فلم لا يجوز أن يكون بعضهم كانوا مستعدّين للإيمان والتوحيد واحتجّبوا بالعادة وما وجدوا من آباؤهم فأشركوا ثم إذا سمعوا الإنذار وشاهدوا

آيات التوحيد اشتاقوا إلى الحق وارتفع حجابهم فوحّدوا؛، فلذلك وبّخهم على قولهم وطلب منهم الحجة على أن الله أرادهم بذلك دائماً وأنذرهم بوعيد من كان قبلهم لعل من كان فيه أدنى استعداد إذا انقطع عن حجته وسمع وعيد من قبله من المنكرين، ارتفع حجابهم ولان قلبه فآمن، ويكون ذلك توفيقاً له ولطفاً في شأنه، فإنّ عالم الحكمة يتنى على الأسباب. وأما من كان من الأشقياء المردودين المختوم على قلوبهم، فلا يرفع لذلك رأساً ولا يلقي إليه سمعاً.

{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا  
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ }  
{ وَنَقَلَبُ أَمْنَهُمْ وَأَبْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ  
وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }

{ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا  
مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ }

{ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية { إلى آخره، طلبوا خوارق العادات وأعرضوا عن الحجج البينات، لأنهم كانوا محجوبين بالحسّ والمحسوس، فلم تنجع فيهم الدعوة بالحكمة والإثبات بالحجة كما تنجع في العقلاء والمستعدّين. } قل إنما الآيات { أي: خوارق العادات التي اقترحوها إما هي من عالم القدرة ليست إلا عنده { وما يشعركم } أنهم لا يؤمنون عند مجيئها، أي: أنا أعلم بهم منكم أنهم لا يؤمنون بها، أو وما يشعركم أنهم يؤمنون عند مجيئها لعلها إذا جاءت لا يؤمنون

بها، ومن لم يرد الله منه الإيمان يقلب قلبه وبصره عند مجيء الآية التي اقترحها وزعم أنه يؤمن عند نزولها، فيقول: هذا سحر، ولا يؤمن به كما لا يؤمن قبل مجيء الآية ويذره في ظهور نفسه بصفات واحتجابه بها، ولهذا قال في آخر الآية الثانية: { ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله } يعني: من استعد للإيمان فهم المعقول وأدرك الحجة، وانفتحت عين بصيرته بأدنى نور من هداية الله وآمن بأدنى سبب، ومن لم يستعد لذلك ولم يخلق له لو رأى كل آية من خوارق العادات وغيرها ما أثر فيه { ولكن أكثرهم يجهلون }

أن الإيمان مهيئة الله لا بخوارق العادات، وفي الحقيقة لا اعتبار بالإيمان المرتب على مشاهدة خوارق العادات، فإنه ربما كان مجرد إذعان لأمر محسوس وإقرار باللسان وليس في القلب من معناه شيء كإيمان أصحاب السامري. والإيمان لا يكون إلا بالجنان، كما قال تعالى:

{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات، الآية: ١٤].

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَأَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }  
 { وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ  
 وَيَقْتِرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتِرِفُونَ }

{ أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا  
 وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ  
 فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }

{ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا } إلى آخره، يلزم من ترتب مراتب الأرواح أن مقابلة أصفى الاستعدادات وأنورها بأكدرها وأظلمها وأبعدها ولزم منه وجود عدو لكل نبي للتضاد الحقيقي بينهما. وفائدة وجود العدو في مقابلته له أن الكمال الذي قدر له بحسب استعداده لا يظهر عليه إلا بقوة المحبة للاستمداد، وأما القهر فلانكسار نفسه به وبإهانتها واستخفافه له، وتثبته عند مقابلته في مقام القلب وتجلده

معرضاً عن النفس ولذاتها لاشتغاله بالعدوِّ ذاهلاً عنها لفرط الحمية والحرص على الفضيلة التي يقهر بها العدو والاحتراز عن الملابس الحيوانية والشيطانية ليبعد بها عن مقامه ومناسبته ولثلا يتطرق له سبيل إلى طعنه وتحقيره وازدراؤه بها، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:

« ما أودى نبي قط مثل ما أوديت » ، إذ لا كمال لأحد مثل كماله فيجب أن يكون سبب إخراجه إلى الفعل أقوى لغاية بعده عن صفات النفس وعاداتها.

{ ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة } ولتميل إليه المحجوبون لمناسبتهم { وليرضوه } لمحبتهم إياه، فتقوى غوايتهم ويتظاهرون ويخرج ما فيهم من الشرور إلى الفعل، ويزدادوا طغياناً وتعدياً على النبي صلى الله عليه وسلم فتزداد قوى كماله وتتهيج أيضاً بسببه دواعي المؤمنين، والذين في استعدادهم مناسبة للنبي صلى الله عليه وسلم فتنبعث حميتهم، وتزداد محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ونصرهم إياه، فتظهر عليهم كمالاتهم ويتقوى بهم النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل: إن شهرة المشايخ وكثرة مرديهم لا تكون إلا بواسطة المنكرين إياهم.

{ وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

{ وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }

{ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ }

{ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }

{ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ }

{ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ }

{ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ }

{ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ }

{ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ إِنْ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ }

{ الْآثِمِ سَيَجْزُونَ مِمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ }

{ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ  
إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُوَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }  
{ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي  
الظُّلْمَةِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

{ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً { أي: تم قضاؤه في الأزل بما قضى وقدّر من إسلام  
من أسلم وكفر من كفر ومحبة من أحبّ أحداً، وعداوة من عادى قضاء مبرماً  
وحكماً صادقاً مطابقاً لما يقع عادلاً بمناسبة كل قول وكل كمال وحال، لاستعداد من  
يصدر عنه واقتضائه له { لا مبدل } لأحكامه الأزلية { وهو السميع } لما يظهرون  
من الأقوال والأفعال المقدّرة { العليم } بما يخفون { أكثر من في الأرض } أي: من في  
الجهة السفلية بالركون إلى الدنيا وعالم النفس والطبيعة  
{ يضلوك عن سبيل الله } بتزيينهم زخارفهم عليك ودعوتهم إياك إلى ما هم فيه  
{ إن يتَّبِعُونَ إلا الظنَّ } لكونهم محجوبين في مقام النفس بالأوهام والخيالات عن  
اليقين { وإن هم إلا } يخمنون المعاني بالصور والآخرة بالدنيا، ويقدّرون أحوال  
المعاد وذات الحق وصفاته كأحوال المعاش وذواتهم وصفاتهم فيشركون ويحلون  
بعض المحرّمات.

{ فكلوا } إلى آخره، معلوم مما مرّ في (المائدة) ومسبب للنهي عن طاعة المضلين  
واتباعهم { ظاهر الإثم } سيئات الأعمال والأقوال الظاهرة على الجوارح  
{ وباطنه } العقائد الفاسدة والعزائم الباطلة { أو من كان ميتاً } بالجهل، وهو النفس  
وباحتجابه بصفاتها { فأحييناه } بالعلم ومحبة الحق أو بكشف حجب صفاته  
بتجليات صفاتها { وجعلنا له نوراً } من هدايتنا وعلمنا أو نوراً من صفاتنا أو نوراً  
منا بقيوميتنا له بذاتنا على حسب مراتبه، كمن صفته هذا،  
أي: هذا القول وهو أنه في ظلمات من نفسه وصفاتها وأفعالها ليس بخارج منها  
{ كذلك زُيِّنَ } للمحجوبين عملهم فاحتجبوا به.

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا }  
{ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }

{ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ  
 اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ  
 وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ }  
 { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ  
 يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ  
 كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَلْجَسَّ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ }

{ وكذلك جعلنا في كل قرية } للحكمة المذكورة في إعلاء الأنبياء وكذا في قرية وجود  
 الإنسان التي هي البدن، جعلنا أكبر مجرميها من قوى النفس الأمارة ليمكروا فيها  
 بإضلال القلب وفتنته وإغوائه { وما يمكرون إلا بأنفسهم } لأن عاقبة مكرهم راجعة  
 إليهم باحتراقهم بنيران فقدان الآلات والأسباب في جحيم الهوى والحرمان عن اللذات  
 والشهوات وحصول الآلات الجسمانية عند خراب البدن وعند المعاد والبعث في أقبح  
 الصور على أسوأ الأحوال.

{ وإذا جاءتهم آية } من صفة قلبية وإشراق نوري من هيئة ملكية خلقية، أو علم  
 وحكمة وفيض من روح ينكرونها بالإعراض عنها، ويتمنون من قبل الوهم والخيال  
 إدراكات مثل إدراكات العقل والفكر وتركيبات تخيلية ومغالطات وهمية يعارضون  
 بها البراهين الحقّة حتى يؤمنوا بها ويذعنوا لها.

{ الله أعلم حيث يجعل رسالته } لا يضعها إلا مواضعها من القوى الروحانية المجردة  
 من المواد الهيولانية { سيصيب الذين أجرموا } باحتجابهم ومكرهم في إضلالهم من  
 استعداد للهدى أو اهتدى من القلوب الصافية { صغار عند الله } بزوال قدرتهم  
 وتمكنهم بخراب البدن { وعذاب شديد } بحرمانهم عما يلائمهم ووصول ما ينافيهم  
 في المعاد الجسماني بسبب مكرهم.

{ فمن يرد الله أن يهديه } من هذه القوى للانقياد للعقل { يشرح صدره }  
 أي: يسهل عليه ويجعل وجهه الذي يلي القلب ذا نتوء وسعة لقبول نوره وممكناً  
 من استسلامه له { ومن يرد أن يضله يجعل صدره } يعسر عليه ويعجزه عن  
 ذلك { حرجاً } ذا ظلمة وقصور استعداد عن قبول النور كأنها يزاوّل أمراً ممتنعاً  
 في الاستنارة بنور القلب وطلب الفيض منه. على هذا التأويل الذي ذكرناه وعلى

المعنى الظاهر المراد من الآية السابقة. فمن يرد الله أن يهديه للتوحيد يشرح صدره بقبول نور الحق وإسلام الوجود إلى الله بكشف حجب صفات نفسه عن وجه قلبه الذي يلي النفس، فيفسح لقبول نور الحق. ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً باستيلائها عليه وضغطها له { كأنما يصعد } في سماء روحه مع تلك الهيئات البدنية وذلك أمر محال.

{ كذلك يجعل الله } رجس التلوّث بلوث التعلقات المادية أو رجس التعذب بالهيئات البدنية { على الذين لا يؤمنون }.

{ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ }

{ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيُبِهِمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يُعْشِرُ الْأَجْنَ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ }

أُولِيَاءُ هُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتِ

لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خُلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }

{ وهذا } أي: طريق التوحيد وإسلام الوجه إلى الله { صراط ربك مستقيماً }

لا اعوجاج فيه بوجه من الوجوه يميل إلى جانب الصورة وإلى جانب المعنى أو إلى النظر إلى الغير والشرك به { قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون } المعارف والحقائق التي هي مركوزة في استعدادهم فيهدتوا بها { لهم دار السلام } السلامة من كل نقص وآفة وخوف ظهور صفة ووجود بقية { عند ربهم } في حضرة صفاته وذاته، ويجعلهم في أمانه وليهم { يعطيهم محبته وكماله، ويدخلهم في ظل صفاته وذاته، ويجعلهم في أمانه بالبقاء السرمدى بعد فناء حدثانهم بسبب أعمالهم القلبية والقالية في سلوكهم.

{ يوم يحشرهم } في يوم عين الجمع المطلق { جميعاً }. قلنا { يا معشر }

جنّ القوى النفسانية { قد استكبرتم من الإنس }

أي: من الحواس والأعضاء الظاهرة أو من الصور الإنسانية بأن جعلتموهم أتباعكم وأهل طاعتكم إياهم، وتسويلكم وتزيينكم الحطام الدنيوية واللذات الجسمانية عليهم، ووسوستكم إياهم بالمعاصي { وقال أوليائهم من الإنس } الذين تولوهم { ربنا استمتع بعضنا ببعض } بانتفاع كل منا في صورة الجمعية بالآخر { و قد بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا } بالموت أو بالمعاد الجسماني على أفبح الصور وأسوأ

العيش { قال النار { نار الحرمان عن اللذات ووجدان الآلام  
 { مثواكم خالدين فيها إلا { وقت { ما شاء الله { أن تخفف، أو ينجي منكم من لا  
 يكون سبب تعذبه شركاً راسخاً في اعتقاده { إن ربك حكيم { لا يعذبكم إلا بهيات  
 نفوسكم التي كسبتم على ما تقتضيه الحكمة { عليم { بمن يتعذب باعتقاده فيدوم  
 عذابه أو بهيات سيئات أعماله فيعذب على حسبها ثم ينجو منه.

{ وَكَذَلِكَ نُوَوِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ }  
 { يُعْشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي  
 وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
 وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ }  
 { ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ }  
 { وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }  
 { وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ  
 مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ }  
 { إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ }  
 { قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ  
 عِقَابُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }  
 { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ  
 بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَىٰ آلِهِ  
 وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }  
 { وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ  
 وَيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }  
 { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءُ }

بِرْزَعِهِمْ وَأَنْعَمَ حَرَمَتْ ظُهُورَهَا وَأَنْعَمَ

لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {  
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا وَإِن

يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ

افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ {

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا

أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ

إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {

وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ {

ثُمَّ نَبِئْنَا آدَمَ أَن سَلَّمَ أَلَّا يَكْفُرَ بِاللَّهِ وَآلِهِ وَآلِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ

الْأَنْبِيَاءُ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ الْبُرْهَانُ مِنَ اللَّهِ فَذَكَرُوا إِلَى اللَّهِ مَا كَانُوا يُفْتَرُونَ {

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذُكُرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ

أَمْ أَشْتَمَلْتُمْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ

إِذْ وَصَّيْتُمُ اللَّهَ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ

إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ

لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ

جَزَيْنُهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ {  
 فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ  
 وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ {  
 سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا  
 مِن شَيْءٍ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ  
 مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ {  
 قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ {  
 قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا  
 تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
 وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ {

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً { أي: مثل ذلك جعل العظیم الهائل نجعل  
 بعضهم ولي بعض بتوافق مكاسبهم وتناسبها، فيتوالون ويحشرون معاً في العذاب  
 كالجنّ والإنس الذين ذكرناهم أو نجعل بعضهم والى بعض بتعذيبه بمكسوباته في  
 النار { رسل منكم } من البشر الذين هم جنسكم وعلى التأويل المذكورة من  
 عقولكم التي هي قوى من جنسكم وهذه الأسئلة والأجوبة والشهادات كلها  
 بلسان الحال وإظهار الأوصاف، كما قيل:

قال الجدار للوتد: لم تشقني؟

قال الودد: سل من يدقني

وكشهادة الأيدي والأرجل بصورها التي تناسب هيآت أفعالها وتعذبها بها { ذلك }  
 إشارة إلى إرسال الرسل وتبيين الآيات وإلزام الحجة بالإندار والتهديد،  
 أي: الأمر ذلك لأن ربك لم يكن مهلك القرى على غفلتهم ظالماً لأنه ينافي الحكمة.  
 { ولكل درجات } في القرب والبعد من أعمالهم التي عملوها { إن يشأ يذهبكم }  
 فبئاء عينكم { ويستخلف من بعدكم } من أهل طاعته برحمته { ذلك }  
 أي: تحريم الطيبات عليهم جزاء { جازيناهم } بظلمهم { وإننا لصادقون }

في إيعادهم بجزاء الظلم { فإن كذبوك } بأن الله واسع المغفرة فلا يعذبنا بظلمنا { فقل } بلى { ربكم ذو رحمة واسعة } ولكنه ذو قهر شديد فلا ترد رحمته بأسه { عن القوم المجرمين } بل ربما أودع قهره في صورة لطفه ولطفه في صورة قهره { كذلك كذب الذين من قبلهم }

أي: كذب المنكرون الرسل من قبلهم بتعليق كفرهم بمشيئة الله عناداً وعتواً فعذبوا بكفرهم. { قُلْ هل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا } أي: إن كان لكم علم بذلك وحجة فينبوا، وإنما قال ذلك إشارة إلى قولهم:

{ لو شاء الله ما أشركنا } لأنهم لو قالوا ذلك عن علم لعلموا أن إيمان الموحدين وكل شيء لا يقع إلا بإرادة الله فلم يعادوهم ولم ينكروهم، بل والوهم، ولم يبق بينهم وبين المؤمنين خلاف. ولعمري إنهم لو قالوا ذلك عن علم لما كانوا مشركين، بل كانوا موحدين ولكنهم اتبعوا الظن في ذلك وبنوا على التقدير والتخمين لغرض التكذيب والعدا، وعلى ما سمعوا من الرسل إلزاماً لهم وإثباتاً لعدم امتناعهم عن الرسل لأنهم محبوبون في مقام النفس، وأتى لهم اليقين؟ ومن أين لهم الاطلاع على مشيئة الله؟.

{ قل فله الحجة البالغة } أي: إن كان ظنكم صدقاً في تعليق شرككم بمشيئة الله فليس لكم حجة على المؤمنين وعلى غيركم من أهل دين، لكون كل دين حينئذ بمشيئة الله، فيجب أن توافقوهم وتصدقوهم بل لله الحجة عليكم في وجوب تصديقهم وإقراركم بأنكم أشركتم بمن لا يقع أمر إلا بإرادته ما لا أثر لإرادته أصلاً فأنتم أشقياء في الأزل، مستحقون للبعد والعقاب

{ فلو شاء لهداكم أجمعين } أي: بلى صدقتم، ولكن كما شاء كفركم لو شاء لهداكم كلكم، فبأي شيء علمتم أنه لم يشأ هدايتكم حتى أصررتم؟ وهذا تهيج لمن عسى أن يكون له استعداد منهم فيجمع ويهتدي فيرجع عن الشرك ويؤمن.

{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

إِلَّا بِالْحَقِّ ذِكْرِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }

{ قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم } لما أثبت أن المشركين في التحريم والتحليل يتبعون أهواءهم، إذ الشرك في نفسه ليس إلا عبادة الهوى والشيطان. فلما احتجوا بصفات النفس عن صفات الحق، وأمروا عليهم الهوى وعبوده وأطاعوا أوامره ونواهيه في التحريم والتحليل، بين أن التحريم والتحليل المتبع فيهما أمر الله تعالى ما هما، ولما كان الكلام معهم في تحريم الطيبات عدد المحرمات ليستدل بها على المحللات فحصر جميع أنواع الفضائل بالنهي عن أجناس الرذائل وابتدأ بالنهي عن رذيلة القوة النطقية التي هي أشرفها.

فإن رذيلتها أكبر الكبائر، مستلزمة لجميع الرذائل، بخلاف رذيلة أخويها من القوتين البهيمية والسبعية فقال: { ألا تشركوا به شيئاً } إذ الشرك من خطئها في النظر وقصورها عن استعمال العقل ودرك البرهان وعقبه بإحسان الوالدين، إذ معرفة حقوقهما تتلو معرفة الله في الإيجاد والربوبية لأنهما سببان قريان في الوجود والتربية وواسطتان جعلهما الله تعالى مظهرين لصفتي إيجاده وربوبيته، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: « من أطاع الوالدين فقد أطاع الله ورسوله »

فعقوقهما يلي الشرك ولا يقح الجهل بحقوقهما إلا عن الجهل بحقوق الله تعالى ومعرفة صفاته، ثم بالنهي عن قتل الأولاد خشية الفقر، فإن ارتكاب ذلك لا يكون إلا عن الجهل والعمى عن تسيبه تعالى الرزق لكل مخلوق وأن أرزاق العباد بيده يسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

والاحتجاب عن سرّ القدر، فلا يعلم أن الأرزاق مقدرة بإزاء الأعمار كتقدير الآجال، فأولها لا تقع إلا من خطئها في معرفة ذات الله تعالى، والثانية من خطئها في معرفة صفاته، والثالثة من معرفة أفعاله فلا يرتكب هذه الرذائل الثلاث إلا منكوس، محجوب عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله وهذه الحجب أم الرذائل وأساسها. ثم بين رذيلة القوة البهيمية لأن رذيلتها أظهر وأقدم، فقال:

{ ولا تقربوا الفواحش } من الأعمال القبيحة الشنيعة عند العقل { ما ظهر منها } كالزنا في الحانات، وشرب الخمر وأكل الربا { وما بطن } كقصد هذه الفواحش المذكورة ونيتها والهَمُّ بها وإخفائها كالسرقة وارتكاب المحظورات في الخفية. ثم أشار إلى رذيلة القوة السبعية بقوله:

{ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق }

أي: بالقصاص والكفر، وختم الكلام بقوله: { ذلكم }

أي: الاجتناب عن أجناس رذائل النفوس الثلاث { وصاكم به لعلكم تعقلون }

أي: لا تجتنبها إلا العقلاء ومن ارتكبها فلا عقل له.

{ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذِكْمٌ وَصَكْمٌ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }

{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذِكْمٌ وَصَكْمٌ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }

ثم أراد أن يبين أن الرذائل الثلاث مستلزمة باجتماعها رذيلة الجور التي هي أعظمها

وجماعها كما أنَّ فضائلها تستلزم العدالة التي هي كمالها والشاملة لها فقال: { ولا

تقربوا مال اليتيم } بوجه من الوجوه { إلا بالتي هي أحسن }

إلا بالخصلة التي هي أحسن من حفظه وثمرته { حتى يبلغ أشده } فينتفع به،

لا بالأكل والإنفاق في مآربكم والإتلاف فإنه أفحش.

ولما بين تحريم أجناس الرذائل الأربع بأسرها على التفصيل أمر بإيجاب الفضائل

الأربع بالإجمال، إذ تفصيل الرذائل يغني عن تفصيل مقابلاتها وذلك أنها مندرجة

بأسرها في العدالة فأمر بها في جميع الوجوه فعلاً وقولاً وقال:

{ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط }

أي: حافظوا على العدل فيما بينكم وبين الخلق مطلقاً { وإذا قلتم فاعدلوا }

أي: لا تقولوا إلا الحق { ولو كان } المقول فيه { ذا قربي } فلا تميلوا في القول له أو

عليه إلى زيادة أو نقصان { وبعهد الله أوفوا } أي: بالتوحيد والطاعة وكل ما بينكم

وبين الله من لوازم العهد السابق بالعقد اللاحق. ولما كان سلوك طريقة الفضيلة

التي هي طريقة الوحدة والتوجه إلى الحق صعباً، كما قيل:

أدق من الشعرة وأحد من السيف، وخصوصاً في الأفعال إذ مراعاة الوسط فيها بلا

ميل ما إلى طرف الإفراط والتفريط في غاية الصعوبة. قال بعد قوله:

{ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها }

فبين أنه جمع في هذا المقام بين النهي عن جميع الرذائل والأمر بجميع الفضائل

كلها بحيث لا يخرج منها جزئي ما من جزئياتها، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه: إن هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب.

واتفق على قوله أهل الكتابين وجميع الملل والنحل.

وقال كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إنها لأول شيء في التوراة.

{ ذلكم } أي: ما ذكر من وجوب الانتهاء عن جميع الرذائل والاتصاف بجميع الفضائل { وصاكم به } في جميع الكتب على ألسنة جميع الرُّسل { لعلكم تذكرون } عند سماعها ما وهب الله لكم من الكمال وأودع استعدادكم في الأزل.

{ وأن هذا } أي: طريق الفضائل لأن منع الفضيلة هي الوحدة.

ألا ترى أنها أواسط واعتدالات بين طرفي إفراط وتفریط لا يمكن سلوكها على التعيين بالحقيقة إلا لمن استقام في دين الله إليه وأيده الله بالتوفيق لسلوك طريق الحق حتى وصل إلى الفناء عن صفاته ثم عن ذاته. ثم اتصف في حال البقاء بعد الفناء بصفاته تعالى حتى قام بالله فاستقام فيه وبه فحينئذ يكون صراطه صراط الحق وسيره سير الله { صراطي مستقيماً }

أي: طريقي لا يسلكها إلا من قام بي مستويّاً غير مائل إلى اليمين والشمال لغرض { فاتبعوه ولا تتبعوا السبل } من المذاهب المتفرقة والأديان المختلفة فإنها أوضاع وضعتها أهل الاحتجاب بالعادات والأهواء، أي: وضع لهم لئلا يزدادوا ظلمة وعتواً وحيرة. وروى ابن مسعود

« عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه خطباً فقال:

« هذا سبيل الرشاد » « ، ثم خط عن يمينه وشماله خطوطاً فقال:

« هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه »

ثم تلا هذه الآية: { فتنفرق بكم عن سبيله ذلكم }

أي: سلوك طريق الوحدة والفضيلة { وصاكم به لعلكم تتقون } السبل المتفرقة بالاجتناب عن مقتضيات الأهواء ودواعي النفوس وتجعلون الله وقاية لكم في ملازمة الفضائل ومجانبة الرذائل

{ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا  
لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ {  
{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {  
{ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا  
وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ {

{ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ  
مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا  
سَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ {  
{ ثم آتينا موسى الكتاب

أي: بعدما وضاكم بسلك طريق الفضيلة في قديم الدهر

{ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ { [البقرة، الآية: ١٥٣] { تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ {

أي: تكميلاً لكرامة الولاية ونعمة النبوة مزيداً على الذي أحسنه موسى من سلوك  
طريق الكمال وبلوغه إلى ما بلغ من مقام المكاملة والقرب بالوجود الموهوب بعد  
الفناء في الوحدة، كما قال تعالى:

{ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

[الأعراف، الآية: ١٤٣] بالتكميل ودعوة الخلق إلى الحق { وتفصيلاً لكل شيء {

يحتاج إليه الخلق في المعاد { وهدى { لهم إلى ربهم في سلوك سبيله { ورحمة {  
عليهم بإفاضة كمالته عليهم بواسطة موسى وكتابه { لعلهم بقاء ربهم يؤمنون  
{ الإيمان العلمي أو العياني { وهذا كتاب أنزلناه مبارك { بزيادة الهداية إلى محض  
التوحيد والإرشاد إلى سواء السبيل يهدي بأقرب الطرق إلى أرفع الدرجات من الكمال  
{ فاتبعوه واتقوا { كل ما سوى الله حتى ذواتكم وصفاتكم { لعلكم ترحمون { رحمة  
الاستقامة بالله وفي الله بالوجود الموهوب { أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكننا  
أهدى منهم { لقوة استعداداتنا وصفاء أذهاننا إن صدقتكم  
{ فقد جاءكم بينة من ربكم { بيان لكيفية سلوككم { وهدى { إلى مقصدكم  
{ ورحمة { بتسهيل طريقكم وتيسيرها إلى أشرف الكمالات.

{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ  
 { إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }  
 { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ  
 فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } }

{ إن الذين فرقوا دينهم { أي: جعلوا دينهم أهواء متفرقة، كالذين غلبت عليهم صفات النفس بجذبهم هذه إلى شيء وهذه إلى شيء فحدثت فيهم أهواء مختلفة، فبقوا حيارى لا جهة لهم ولا مقصد } وكانوا شيعاً { فرقاً مختلفة بحسب غلبة تلك الأهواء يغلب على بعضهم الغضب وعلى بعضهم الشهوة وإن دانوا بدين جعلوا دينهم بحسب غلبة هواهم مادة التعصب ومدد استيلاء تلك القوة الغالبة على القلب ولم يتعبدوا إلا بعبادات وبدع، ولم ينفادوا إلا لأهواء وخذع، يعبد كل منهم إلهاً مجعولاً في وهمه، مخيلاً في خياله ويجعله سبب الاستطالة والتفرق على الآخر كما نشاهد من أهل المذاهب الظاهرة

{ لست منهم في شيء { أي: لست من هدايتهم ودعوتهم إلى التوحيد في شيء إذ هم أهل التفرقة والاحتجاب بالكثرة لا يجتمع همهم ولا يتحد قصدهم.

{ إنما أمرهم إلى الله { في جزاء تفرقهم لا إليك } ثم ينبئهم { عند ظهور هيآت نفوسهم المختلفة والأهواء المتفرقة عليهم بمفارقة الأبدان } بما كانوا يفعلون { من السيئات } من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها { هذا أقل درجات الثواب وذلك أن الحسنة تصدر بظهور القلب، والسيئة بظهور النفس، فأقل درجات ثوابها أنه يصل إلى مقام القلب الذي يتلو مقام النفس في الارتقاء تلو مرتبة العشرات للآحاد في الأعداد. } ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها {

لأنه لا مقام أدون من مقام النفس، فينحط إليه بالضرورة فيرى جزاءه في مقام النفس بالمثل. ومن هذا يعلم أن الثواب من باب الفضل فإنه يزيد به صاحبه ويتنور استعداده ويزداد قبوله لفيض الحق فيتقوى على إضعاف ما فعل ويكتسب به أجوراً متضاعفة إلى غير نهاية بازدياد القبول عند فعل كل حسنة، وزيادة القدرة والشغف على الحسنة عند زيادة الفيض إلى ما لا يعلمه إلا الله، كما قال بعد ذكر أضعافها إلى سبعمائة:

{ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ }

[البقرة، الآية: ٢٦١] وأن العقاب من باب العدل، إذ العدل يقتضي المساواة ومن فعل بالنفس إذا لم يعف عنه يجازى بالنفس سواء وتذكر ما قيل في قوله تعالى:

{ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ }

[البقرة، الآية: ٢٨٦] فإن الفضيلة للإنسان ذاتية موجبة لترقيه البتة، والرذيلة عارضة ظلمتها للفطرة، فمهما لم تكن بقصد ونية من صاحبها أو كانت ولم يصر عليها، عفي عنها ولم تحجب صاحبها. وإن كانت وأصر عليها جوزي في مقام النفس بالمثل. والحسنة والسيئة المذكورتان ههنا من قبيل الأعمال وإلا فرب سيئة من شخص تعادل حسنة من غيره، كما قال عليه السلام:

« حسنات الأبرار سيئات المقربين »

بوجود القلب عند الشهود، وسيئات الأبرار بظهور النفس عند السلوك، وحسناتهم بظهور القلب، ورب سيئة توجب حجاب الأبد كاعتقاد الشرك مثلاً.

{ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا }

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

{ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

{ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }

{ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا }

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ }

{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ }

لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ }

{ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم } إلى طريق التوحيد الذاتي { ديناً قيماً } ثابتاً أبداً لا تغيره الملل والنحل ولا تتسخره الشرائع والكتب { ملة إبراهيم } التي أعرض بها عن كل ما سواه بالترقي عن جميع المراتب مائلاً عن كل دين وطريق باطل

فيه شرك ما، ولو بصفة من صفات الله تعالى.

{ قل إن صلاتي { أي: حضوري بالقلب وشهودي بالروح { ونسكي { أي: تقريبي أو كل ما أتقرب به بالقلب { ومحياي { بالحق { ومماتي { بالنفس كلها { لله { لا نصيب لي ولا لأحد غيري فيها لأنني قمت به له بالفناء فلا وجود لي ولا لغيري حتى يكون لي حظ ونصيب { رب العالمين { أي: له باعتبار الجمع في صورة تفاصيل الربوبية { لا شريك له { في ذلك جمعاً وتفصيلاً { وبذلك أمرت { أي: أمرت أن لا أرى غيره في عين الجمع ولا في صورة التفاصيل حتى أعمل له كما وصفني تعالى بقوله:

### { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ }

[النجم، الآية: ١٧] فهو الآخر والمأمور، والرائي والمرئي { وأنا أول المسلمين { المنقادين للفناء فيه بإسلام وجهي له باعتبار الرتبة في تفاصيل الذات وإلا فلا أول ولا آخر ولا مسلم ولا كافر.

{ قل أغير الله { الذي هذا شأنه { أبغي رباً { فأطلب مستحيلاً أو غير الذات الشامل لجميع الصفات الذي هو الكل من حيث هو كل أبغي متعينا فيكون مربوباً لا رباً { وهو رب كل شيء { وما سواه باعتبار تفاصيل صفاته مربوب { ولا تكسب كل نفس { شيئاً { إلا { هو وبال { عليها { إذ كسب النفس شرك في أفعاله تعالى، وكل من أشرك فوباله عليه باحتجابه { ولا تزر وازرة وزر أخرى { لرسوخ هيئة وزرها فيها ولزومه إياها تحتجب هي به، فكيف يتعدى إلى غيرها.

{ وهو الذي جعلكم خلائف { في أرضه بإظهار كمالته في مظاهركم ليتمكنكم إنفاذ أمره { ورفع بعضكم فوق بعض درجات { في مظهرية كمالته على تفاوت درجات الاستعدادات، { ليلوكم فيما آتاكم { من كمالته بحسب الاستعدادات من يقوم بحقوق ما ظهر منها عليه ومن لا يقوم، ومن يقوم بحقي في سلوك طريقها حتى يظهرها الله بإخفاء صفات نفسه فيكون مؤدياً لأمانات الله ومن لا يقوم فيكون خائناً وتظهر عليكم أعمالكم بحسبها فيرتب عليها الجزاء معاً، إما بمثوبة الاحتجاب حالة التقصير فيكون ربك سريع العقاب، وإما بمثوبة البروز والانكشاف فيكون غفوراً يستر أفعالكم وصفات نفوسكم الساترة الحاجة لتلك الصفات الإلهية والكمالات الربانية، رحيماً يرحمكم بإظهارها عليكم، والله أعلم بحقائق الأمور.